

جهود المستشرقين قديما وحديثا في فقه اللغة / دراسة

تحليلية

بحث مقدم من الطالب

علي زبيد سيسون المزيعل

طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الأستاذ المشرف أمد محمد رضا يوسفى (الكاتب المسؤل)

الأستاذ المساعد. قسم اللغة العربية وآدابها. فرع قم. جامعة آزاد

الإسلامية. قم. إيران

المشرف المساعد محمد حسن معصومي

الأستاذ المساعد. قسم اللغة العربية وآدابها. فرع قم. جامعة آزاد

الإسلامية. قم. إيران

جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم تحقيقات، قسم اللغة العربية

وآدابها، طهران. إيران

تكشف هذه الدراسة عن جهود الكتاب المستشرقين الذين تخصصت مؤلفاتهم في مادة " فقه اللغة " ، وبينت مدى الإمكانيات التي حملتها تلك المؤلفات من معرفة دقيقة بحقيقة هذا العلم ، وهي دراسة تحليلية وصفية اهتمت بشكل كبير ببحوث هامة في " فقه اللغة ، استهلت بالتعريف بالاستشراق والمستشرقين ، ومؤلفاتهم القديمة والحديثة. ويبدو أن هذا الاهتمام من قبل المستشرقين مر بمرحلتين ، فالجيل الأول والتي ضم مؤلفات كارل بروكلمان (١٨٦٨ م _ ١٩٥٦م) وثيودور نولدكه (ت ١٩٣٠م) وبروجسترaser (و ١٨٨٦م)، ورغم أنها دراسات كبيرة وهامة، لكنها لم تكن واضحة ودقيقة لأنها سبقت الاستكشافات الحديثة للغة ، و من ثم الجيل الثاني الذهبي الذي تحدد باكتشاف اللغات السنسكريتية ، وأحدث طفرة نوعية في البحث اللغوي في فقه اللغة على يد العالم اللغوي " فولفديتريش فيشر (١٩٢٨م-٢٠١٣م) وهو أستاذ الدراسات السامية والإسلامية في جامعة ارلانجن نورنبرج في ألمانيا ، مع رفاقه الألمان الذين انتدبهم لعمل كبير ومشروع رائع وهو التصدي لمهمة علمية تتبنى جمع مؤلفات الجيل الأول ، وإضافة دراسات حديثة في علوم اللغة وفقهها ، مستثمرين الاستكشافات الحديثة في مجال اللغات، جاعلين اللغة العربية واللغات السامية محور هذه الدراسات. هذا ماسيتكفل به هذا البحث، مع دراسة تفصيلية لكل البحوث والمقالات التي كتبها الكتاب المستشرقون ، والوقوف على آرائهم واستنتاجاتهم في هذا المجال، ومن الله السداد والتوفيق.

Abstract

This study reveals the efforts of the orientalist writers whose books are specialized in the subject of "linguistic jurisprudence", and showed the extent of the capabilities carried by those works of accurate knowledge of the reality of this science. And their ancient and modern writings .It seems that this interest on the part of the orientalists went through two phases. The first generation, which included the writings of Karl Brockelmann (1868 AD - 1956 AD), Theodor Noldeke (d. 1930 AD), and Progstrasser (1886 AD), although they are large and important studies, but they were not clear and accurate because they preceded modern explorations. of the language, and then the second golden generation that was determined by the discovery of the Sanskrit languages, and the latest qualitative leap in linguistic research in philology at the hands of the linguist "Wolf Dietrich Fischer (1928 AD-2013 AD) who is a professor of Semitic and Islamic studies at the University of Erlangen Nuremberg in Germany, with his German colleagues Those whom he delegated for a great work and a wonderful project, which is to address a scientific mission that adopts the collection of first-generation literature, and the addition of modern studies in language sciences and jurisprudence, investing in recent explorations in the field of languages, making the Arabic language and the Semitic languages the focus of these studies. This is what this research takes care of, with a detailed study of all the research and articles written by orientalist writers, and standing on their opinions and conclusions in this field, and from God the payment and success. key words: Jurisprudence, language, philology, orientalists, orientalism

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله ، حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً يوازي رحمته وعفوه وكرمه ونعمه وآلاءه ، حمداً لا ينقطع ابداً و لا يحصي له الخلائق عددا ، والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين المصطفى الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، لا سيما بقية الله في الأرضين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وبعدهم المسلمون الأوائل بدراسة اللغة العربية ، وأعطوها جل جهودهم ، ونفيس وقتهم ، كونها تمثل عنواناً ومقاماً عالياً باعتبارها لغة القرآن الكريم والذي هو دستور حياتهم ومنهج رسالتهم وشرف وجودهم . وشملت تلك الدراسات جميع قضايا اللغة ومع مرور الوقت احتاجوا الى فصل تلك العلوم عن بعضها بسبب كثرتها وتشعب مجالاتها ، فصار لكل مجال علمه الخاص به ، كعلم النحو ، وعلم الصرف ، وعلم البلاغة ، وعلم اللغة ، وغيرها من العلوم التي قد تقترب من بعضها أحيانا ، وقد تباعد أحيانا أخرى ، فبرز عندهم ما يعرف اليوم بفقه اللغة وزاد في دراساته وتطورت بحوثه فشملت اللغات وشجرة أنسابها، واللغة العربية وأخواتها السامية ، العبرية، الفينيقية، الأكديّة، والحبشية. وأثبت العلماء وجود شبه وتقارب بين هذه اللغات في كثير من الأمور الفرعية النحوية واللغوية والاشتقاقية والدالية فقالوا إنها تنتمي إلى أسرة واحدة ثم ، وبإطلالة القرن العشرين شهد الدرس اللغوي المعاصر منعطفاً جديداً، ودراسة معمقة، وتطويراً في المنهج والأسلوب ، وذلك بظهور العالم اللغوي السويسري فرديناند سوسير (1853 م- 1913 م) الذي يعتبره الدارسون المحدثون الفاتح الكبير للدرس اللغوي، والذي فهم علم اللسانيات على حقيقته، ووضح اللغة واختصاصاتها، وبين مناهجها وقضاياها وحدودها، وهو من رفع شعار دراسة اللغة لذاتها ، ومؤسساً منهجه الجديد ، وهو المنهج الوصفي ، تاركاً المنهج التاريخي والمقارن ، وصارت " اللغة " محل اهتمام المعنيين بها من الشرق والغرب أجمعين وتوالت الدراسات ، فدخلت العالم العربي من أوسع أبوابه وانبرى الكثيرون للتأليف

والدراسة والبحث في شتى مسائل اللغة ، حتى أُطلق على القرن العشرين الميلادي ، وبداية ما بعده من القرن الواحد والعشرين الذي نعيش عقده الثاني قرن اللغة وأصبحت دراسة اللغة في كل مستوياتها الصوتية والنحوية والدلالية والصرفية ، وقضاياها الأخرى قبلة الدارسين ، فبحثوا في ما اشتملت عليه مدونة القدامى ، ومعتمدين على ما أنتجته الدراسات الحديثة من مناهج وأساليب للمستشرقين الذين سبقوا الجميع في ذلك في العصر الحديث . وأخذ الكتاب المعاصرون ، حالهم حال أقرانهم القدامى العرب والمستشرقين وأدلوهم ، وخاضوا غمار هذا البحر الكبير ، فكتبوا في قضايا اللغة ، ونشئها ، وتطور أصواتها ، وخصائصها ، ومجالاتها ، وكل ما يرتبط بها ، اهتماماً منهم بها ، ولأسباب كثيرة يمكن معرفتها من خلال فصول البحث ولأن المحدثين المستشرقين سبقوا العرب في هذا العصر في نشوء المرحلة الحديثة ارتأينا أن يتم الكلام فيه وفق ما يقتضيه الترتيب الزمني والأولوية العلمية على أن يؤجل الكلام في مباحث فقه اللغة في المدونة العربية القديمة ، وكذلك عند المحدثين العرب في مناسبات أخرى . الكلمات المفتاحية : فقه ، اللغة ، فقه اللغة مركباً ، المستشرقين ، الاستشراق .

المطلب الأول : جهود المستشرقين قديماً وحديثاً في فقه اللغة / دراسة تحليلية

مفهوم فقه اللغة يتكون هذا المفهوم من جزأين مركبين تركيبياً إضافياً ، وهما " فقه " و " لغة " ، لذلك يتعين علينا تعريفهما كلاً على حدة ثم بيان ما يمكن أن ينتجانه من معناً مركب واحد معاً .

الفقه لغة قال ابن منظور : ((الفقه: العِلْمُ بِالشَّيْءِ والفهمُ لَهُ، وغلبَ عَلَى عِلْمِ الدِّينِ لِمِبادِيهِ وَشَرْفِهِ وَقُضِيهِ عَلَى سَائِرِ أنواعِ العِلْمِ كَمَا غَلَبَ النِّجْمُ عَلَى الثَّرِيَّا وَالْعُودُ عَلَى الْمُنْدَلِ؛ قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: وَاشْتِقاقُهُ مِنَ الشَّقِّ وَالْفَتْحِ)) قال ابن فارس في المقاييس: ((الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به تقول فقهت الحديث أفقهه وكل علم بشيء فهو فقه يقولون لا يفقه ولا ينفقه ، أخص بذلك علم الشريعة)) وعزفه الفيروز آبادي : ((الفقه في اللغة بالكسر بأنه: العلم بالشيء ، والفهم له ، والفتنة ، وغلب على علم الدين لشرفه))^٣ . فالملاحظ من خلال هذين التعريفين أن كل من ابن فارس وابن منظور لهما المفهوم نفسه لكلمة (الفقه) التي توافق عليها أصحاب المعاجم السابقين لهما وحتى عند من جاء بعدهما وقريب من ذلك ما ذكره الأصفهاني في مفرداته ، ولكن برؤية مختلفة الفقه ، إذ إن الفقه عنده هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، فهو أخص من العلم ، بمعنى أنه ليس بالضرورة أن يكون العلم بالشيء فقهاً له ، فالعلم أوسع وأشمل من الفقه ، مضافاً إلى ذلك بقوله ((يقال : فقه الرجل إذا صار فقيهاً . وفقه : أي فهم فقهاً))^٤ .

الفقه اصطلاحاً تطور مفهوم " الفقه " بدلالاته الاصطلاحية مع تطور الدراسات اللغوية والأدبية عبر التاريخ ، وقد تأثر مفهومه الاصطلاحي تأثراً واضحاً بالاتجاهات والنظريات الحديثة التي ظهرت في الدرس اللغوي عامة ، لذلك لانجد تعريفاً محدداً أتفق عليه الباحثون والعلماء قديماً وحديثاً ، ولكن ومن مجموع ما أفرزته المعاني اللغوية لهذا المصطلح القديم نستطيع أن نستخلص منه معناً اصطلاحياً وهو الفهم . اللغة لغة اللغة وزنها " فعه " وأصلها " لغوة " ، حذف لامها - أعني : الواو - ، وحينما تحذف اللام من لغوة تصير لغة فاللغة مشتقة من لغى يلغو ، إذا تكلم ، فمعناها الكلام . وجاء في لسان العرب وتاج العروس : أن أصلها " لغو " وليس " لغوة " وتجمع على : لغى ولغات ولغون ، وهي الصوت مطلقاً ، واللهج بالشيء . من باب دعا ، و وزنها " فعه " ، حذف لامها وعوض عنها هاء التأنيث.^٦

اللغة اصطلاحاً ذكر حاتم الضامن بأن اللغة ((مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها))^٧ وهي أقدم المصطلحات وهي أداة التعبير والتفاهم الإنساني^٨ ، وأنها ((نظام من الرموز الصوتية ، أو مجموعة من الصور اللفظية مخترن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية ، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين))^٩ ويرى السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ م - ١٩١٣ م) اللغة بأنها ((نتاج اجتماعي لمملكة الكلام ومجموعة من المواضع يتبناها الكيان الاجتماعي ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة إنها نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، تحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته))^{١٠} بينما اعتبر مصطفى الغلايين في جامع الدروس بأنها ((ألفاظ يعبر بها كل قوم عم مقاصدهم))^{١١} مفهوم فقه اللغة (المركب) لغة " واصطلاحاً "

فقه اللغة لغة على هذا يكون تعريف " فقه اللغة " لغة هو ((فهم اللغة ، والعلم بها . وإدراك كنهها))^{١٢}

وأما تعريفه الاصطلاحي فقد ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه الصحابي بأنه يقصد به ((دراسة القوانين العامة التي تنظم اللغة في جمع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية))^{١٣} ، أو ((العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة من حيث أصولها ، ومفرداتها ، وتركيبها ، وفي خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وما يطرأ عليها من تغيرات ، وما ينشأ عليها من لهجات ، وما يثار حول العربية من قضايا ، وما تواجه من مشكلات))^{١٤} . وقريب منه ما ذكره رمضان عبد التواب حيث قال : ((تطلق كلمة فقه اللغة عندنا الآن على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة ، والوقوف على القوانين التي تسيطر عليها في حياتها ، ومعرفة سر تطورها ، ودراسة ظواهرها

المختلفة . دراسة تاريخية من جانب ، و وصفية من جانب آخر))^{١٥} لا يمكن إنكار أن درس " فقه اللغة " الحديث قد ولد من خلال متتين معرفيين ، أكمل بعضه البعض ، وهما المتن العربي القديم الذي مثلته المدون العربية القديمة والذي أسسه وبنى بنيانه العلماء القدامى ، ابتداءً من القرن الثالث الهجري ، إلى ما آلت إليه كتب التجميع في القرن التاسع الهجري، ونستطيع أن نسميه الفكر العربي الفار ، حيث استقرت رواسيه ، وتفرعت مسائله . والمتن الثاني هو المتن المعرفي الغربي في العصر الحديث متمثلاً بالفكر الوافد من وراء البحار ، ولعب دوره الأكبر المستشرقون ، ونظراؤهم من الكتاب العرب ، وهاتان المرحلتان لم تكونا على نسق واحد ، ومرحلة واحدة ، بل هما في مرحلتين منفصلتين ومتباعدين زماناً ومكاناً

المطلب الثاني : فقه اللغة في مؤلفات المستشرقين

ليس المراد هنا البحث في جهود المستشرقين بشكله التفصيلي لأن هذا ليس هو جوهر البحث بقدر ما نريد معرفة الانطلاقة الحديثة للاهتمام باللغة العربية بشكل عام وعلم اللغة وفقه اللغة عند المستشرقين بشكل خاص، والانتقال النوعية التي حصلت في القرنين الأخيرين في دراسته على أيديهم ، ، وما تناوله في كتبهم ومؤلفاتهم لتكون هذه الدراسات مرتكزا و أساسا للدراسات اللاحقة التي استندت عليها .

تعريف الاستشراق والمستشرقين

الاستشراق بتعبير موجز : دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ، ولغاته ، وآدابه ، وفنونه ، وعلومه ، وتقاليده وعاداته ... فالاستشراق إذن . بهذا الاعتبار . هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق ، وكل ما يتعلق بتاريخه ، ولغاته ، وآدابه ، وفنونه وعلومه وتقاليده ، وعاداته^{١٦} ويبدو أن مصطلح الاستشراق يرجع إلى العصور القديمة التي كان فيها البحر الأبيض المتوسط يتوسط العالم وكانت بقية الجهات في جميع أنحاء العالم تتحدّد بالنسبة إليه . فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط^{١٧} ومايهما في بحثنا المستشرقون الذين تناولوا اللغة العربية بدراساتهم وبحوثهم من جهة علمية صرفة ، إما لدراسة أسرارها ، أو كونها لغة القرآن الكريم باعتباره كتاب سماوي سلب لب الباحثين بعباراته الساحرة وأسلوبه الشيق وسرده الأنيق ، الذي تحدى الناطقين بها فضلا عن غيرهم . ولعل هذا الدافع - أي العلمي - شكك فيه الكثيرون لسوء الظن بنوايا المتكلمين بغير لغة الضاد وغير المتخذين الاسلام دينا ، لكن ذلك لا يمنعنا من احترام ذلك التوجه وحسن الظن ببعض من ادعى ذلك ، وقد دافع عن تلك النوايا الحسنة الدكتور الصغير بقوله : ويبدو لي من خلال معايشة الحركة الاستشراقية بوجه عام أن الهدف العلمي من وراء دراسة القرآن الكريم والتراث العربي قد يشكل أسلم الدوافع وأنبئ الأهداف ترجيحاً لدي ، فكثير من هؤلاء المستشرقين لمسوا في اللغة العربية لغة ثقافة وأدب وحضارة ، ووجدوا القرآن في الذروة من هذه اللغة ، فحذبوا على دراسته بدافع علمي محض تحذو به المعرفة ، وتصاحبه اللذة ، فأبقوا لنا جهودا عظيمة مشكورة . وهذا الحكم لا يؤخذ على عمومه ، ولكنه الأعم الأغلب ، وسواه شاذ ، والشاذ لا يقاس عليه .ولكن الهدف العلمي . مهما كانت الضمانم . هو الهدف الأسمى لأغلبية هؤلاء المستشرقين^{١٨} .

مؤلفات المستشرقين قديما وحديثا

لايمكننا الإحاطة بجميع من تصدى للتأليف ودراسات علوم اللغة وموضوعات فقهها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لايبنتي عمل الباحث هنا على استقراء نشاطات المستشرقين ، وإنما دعنا الحاجة إلى بيان قيمة اللغة العربية وجاذبيتها عند أولئك القادمين من وراء البحار لنقتنص أهم تلك النشاطات وننتقي أشهر من تناول البحث والدراسة في علوم اللغة وفقهها و لتكون ركائز وأسس يحتاجها الباحث عند التعرض بشكل تفصيلي للباحثين العراقيين قيد البحث باعتبار أن دراستنا هنا تقوم على نحو من المقارنة كما هو واضح من عنوان البحث . لذلك سيكون ما نتناوله عبارة عن نماذج مميزة لعلماء اللغة من المستشرقين على نحو يحقق المطلوب دون التوسع الكبير في الاستقصاء ومكتفين بالشواهد فقط لتلك الجهود.

المستشرقين بين جيلين يبدو أن هذا الاهتمام من قبل المستشرقين بفقه اللغة العربية قد مرّ بمرحلتين أو لنقل بجيلين

الجيل الأول : قدم فيه أوائل المستشرقين أعمالا ضخمة تصدى لها "بروكلمان (ت 1956 م) Brokelmann ونولدكه Noldke (ت 1930 م) ، وبرجشتراسر (الولادة 1886 م) Birishtisir ، وتناولوا بحثا قيمة ودراسات لغوية كبيرة ، لكنها لم تكن تتناول جزئياتها أو تعالج مسائلها حتى وصفت _ فيما بعد _ بأنها غير دقيقة . بينما تناول الجيل الثاني الذي جاء من بعدهم أبحاثا أكثر شمولية جمعت ما سبقها من أعمال وخاصة بعد حدوث الاستكشافات الجديدة للكثير من النصوص التي كانت غائبة عن الجيل الأول ، فأعيد النظر فيها وفي كثير من مسائلها ، وصححت آراء سابقة غير دقيقة ، وأضيفت معلومات قيمة جدا من قبل

هؤلاء الباحثين بعد تقص دقيق وشامل بسبب تطور وسائل البحث العلمي الحديثة^{١٩} تضمنت مؤلفات الأوائل بحثا في علون اللغة العربية بشكل عام ، ويبدو من موضوعات تلك المؤلفات أنها لم تكن تفرق بين علم اللغة وفقه اللغة ، فكتاب " تاريخ الأدب العربي يعتبر أهم وأشهر آثار المستشرق الألماني كارل بروكلمان (ت 1956 م) Brokelmann . قال عنه عبد الرحمن بدوي : ((أن الكتاب يعد المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها))^{٢٠} وتعتبر دراسة المخطوطات وتتبعها ومعرفة تواريخها وقيمتها من موضوعات " فقه اللغة " الحديثة، وتدرس ضمن المنهج التاريخي معتمدا على المنهج الوصفي كما هو واضح . وقد أصبح الكتاب في وضعه النهائي مؤلفاً من خمسة مجلدات : المجلدان الأول والثاني : هما الأصل . والمجلدات الثلاثة الباقية هي ملاحق . والأصل والملاحق يشير كلاهما إلى الآخر ولا بد من الرجوع إليها معاً في كل حالة . أما الفكرة التي قام عليها هذا الكتاب فهي أن " بروكلمان " Brokelmann كان بطبعه يكره العرض الشامل ، ويميل إلى التفاصيل الدقيقة . كما أنه رأى أن الوقت لم يحن لتصنيف تاريخ شامل للأدب العربي بالمعنى الأوسع : أي كل الإنتاج في كل فروع العلم ، وهذا أمر ينبغي التنبه إليه ، فكلية " أدب " في عنوان الكتاب تعني : مجموع ما كتب باللغة العربية في كل فروع العلم وخاصة مجال " فقه اللغة " حيث ألف بعد ذلك أكبر كتبه أصالة وأحبها إلى نفسه، وهو بعنوان " موجز النحو المقارن للغات السامية " في مجلدين ، 1907 م - 1913 م . وقد وُصف هذا الكتاب بأنه وبرغم مرور أكثر من تسعين عام مرجعاً مهماً ذا قيمة كبيرة للدراسات السامية ، وأنه قدم جهداً رائداً في جميع المعلومات المتفرقة لجهود سابقة . وله أيضا عدة مؤلفات لا تتعد بحثها عن " فقه اللغة " وعلمها أهتمت بشكل كبير في دراسة اللغة وتطورها وعلاقة اللغات السامية في ما بينها ، ضمن دراسة تاريخي استقرائية وصفية^{٢١} أما المستشرق الألماني " برجشتراسر (ت 1933 م) Birijstisir فيكفي أن نطالع مادونته أنامل رمضان عبد التواب في كتابه التطور النحوي للغة العربية بين فيها بأن هذا الكتاب صاغه صاحبه المستشرق الألماني " برجشتراسر باللغة العربية قبل خمسين سنة ، حين دعي لإلقاء محاضرات في " التطور النحوي للغة العربية ، " بالجامعة المصرية القديمة ، سنة 1929 م . ومنذ ذلك التاريخ ، والكتاب يسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية في ميدان الدراسات اللغوية التاريخية للغة العربية ، وإنه ليندر أن تجد مؤلفا بالعربية في علم اللغة وفقهها لم يفد من هذا الكتاب القيم على مدى نصف القرن الماضي ضمن برجشتراسر هذا السفر الكبير مجموعة من القضايا والمسائل والآراء اللغوية الخاصة بموضوعات فقه اللغة وخاصة ما يتصل بدراسة اللغات السامية ونشوء اللغة والمقارنة بين تلك اللغات ومدى تأثير بعضها ببعض ، وكذلك أهتم بتفسير تلك الظواهر اللغوية وخلصا ما توصلت إليه الدراسات الحديثة التي اعتمدت عليها بشكل كبير ولم يكتف هذا الكاتب الكبير بهذا المجهود وهذا المؤلف ، فبعدهما نُشر أول أطلس لغوي ألفه " جليرون وأدموند " Gillieron اسمه الأطلس اللغوي لفرنسا (عام 1920 - 1902 م) تصدى كاتبنا هذا لنشر بحثه المتميز تحت عنوان " الأطلس اللغوي لسوريا وفلسطين سنة 1915 م " متزامنا في الأهمية مع أطالس جغرافية لدراسة اللهجات العربية في مصر والشام والمغرب ، بدلالات واضحة وجلية على الاتصال والتزامن الوثيقين بين اللغات الأوروبية والشرقية^{٢٢} . أما نموذجنا الثالث والأخير من علماء الاستشراق للجيل الأول فهو " ثيودور نولدكه " (1836م - 1930 م) Noldeke وهو أستاذ " كارل بوكلمان " Brokelmann ، و يعد شيخ المستشرقين الألمان وأستاذ التوراة واللغات السامية في " كيل " عام 1964 م^{٢٣} درس " نولدكه Noldeke " في جامعة " غوتنغن " ، وتعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على يد البروفسور " هاينرش إفالده . Ewald . وذلك من أجل أن يتخصص في علوم اللغة العربية وخاصة اللغات واللهجات التي هي من موضوعات فقه اللغة . ولكي يتم هذا الأمر عُين أستاذاً للغات السامية والتاريخ الإسلامي في جامعة كيل Kiel عام 1864 م ، ثم خلف " أوغوست ديلمان Dillmann " ، ثم عين أستاذاً ذا كرسي في جامعة ستراسبورج بقي فيها من عام 1872 م ، حتى عام 1920 م ، فجعلها مركز الدراسات الشرقية في ألمانيا، وبذلك انبسطت له اليد في الاطلاع بشكل تام على منشأ اللغات السامية ، و وجه التقارب بين اللهجات العربية ومقارنتها مع بقية اللغات الشرقية ، والتعرف على الصفات الدلالية للأصوات وكيفية التمييز بينها^{٢٤} كانت كتابات الجيل الأول للمستشرقين كما وُصفت بأنها أبحاث متفرقة عامة حصلت قبل اكتشاف لغات ونصوص اكتشفت فيما بعد ، لكنها عادت الطريق للدراسات اللاحقة التي اعتمدت عليها لدرجة أن بحوث الجيل الثاني الذي تكفلته جهود المستشرق الكبير " فولفديتريش فيشر " (1928 م - 2013 م) قد اعتمدت في كتاباتها اللاحقة على ما أسسته كتابات " بروكلمان " ، بل حتى عنوان كتابه الموسوم " الأساس في فقه اللغة " قد اعتمد عليه ، يقول بحيري : ((ولا أدري هل كان لكتاب

المستشرق الكبير " كارل بروكلمان " Karl Brokelmann دور في اختيار عنوان هذا العمل أم لا ؟ على أي حال فقد تأثروا به تأثرا بعيدا ، إذ يعد كتابه " الأساس في النحو المقارن للغات السامية " برغم مرور أكثر من تسعين سنة مرجعا مهما ذا قيمة كبيرة للدراسات السامية ((^{٢٥}).

الجيل الثاني وهو المرحلة الثانية الهامة لجهود المستشرقين في " فقه اللغة " ، فقد بدأت هذه المرحلة كما ذكرنا سابقا على يد المستشرق البروفيسور " فولفديترش فيشر (1928 م - 2013 م " Fischer ، الذي شرع بمشروع كبير ، وعمل رائع ، انتدب فيه عدد كبير من المؤلفين ليتصدوا لهذه المهمة الكبيرة ، وهي جمع ما ألفه الجيل الأول وتصحيح ما فيه من إشكالات ، متناولين بحوثا قديمة وأخرى جديدة ، وقد بين في مقدمة كتابه هذه الفكرة و الصعوبات التي رافقت هذا العمل بقوله ((و عمل كهذا يشترك فيه عدد كبير من المؤلفين يحتاج إلى سنوات طويلة حتى تستقيم الفكرة الأساسية والمشكلات المختلفة على عودها))^{٢٦} أثمرت هذه الجهود التي استمرت لأكثر من سبع سنوات من العمل المضني جمع عدة مقالات لهؤلاء النخبة من الكتاب الكبار ، ليخرج لنا كتابه الشهير " الأساس في فقه اللغة . " جمع فيه جهود نخبة من علماء الاستشراق في تخصص اللغة في عمل علمي شامل و واسع و دقيق ، تحملوا فيه عناء الالتزام بالفكرة الأساسية لهذا المؤلف تضمن الكتاب الذي يقع في مجلدين كما بينا الأول في " علم اللغة " والثاني في " الأدب . " وما يهمنا منهما هو المجلد الأول والذي عنوانه بعلم اللغة ^{٢٧} لأنه محل موضوعات علم اللغة وفقهها ، والذي تصدى لمراجعة ما كتب من قبل الجيل الأول من المستشرقين من جهة ، ومن جهة أخرى تناول موضوعات هامة في فقه اللغة وقد جاء بجزأين ؛ الأول يحمل عنوان " دراسات في العربية " ، والثاني " الأساس في فقه اللغة العربية

حمل الجزء الأول مطالب هامة افتتحها المشرف على مشروع الكتاب " فيشر Fischer " بمقدمة تصدرت هذا السفر الجليل تحت عنوان " الدور التاريخي للغة العربية " ، تناول فيها نشوء اللغة العربية وبروزها في القرن الثامن الميلادي بجوار اللغات السائدة آنذاك اليونانية واللاتينية . وتأتي أهميتها كونها لغة الكتاب الموحى الذي أرسله الله تبارك وتعالى وهو القرآن الكريم - على حد تعبيره ، معتبرا أن لا قيمة بعد ذلك لأي لغة تنتمي للغة العربية مالم ترتبط بهذا الكتاب العظيم . وكل عدول عنها لا يستحق اسم العربية بل وتعدى رأيه هذا المقدار حينما بين أن كل مكان زحف إليه الإسلام منتصرا تقهقرت بسرعة لغات الثقافة التي كانت سائدة حتى ذلك الحين . وقد حل ذلك في الشرق باليونانية والآرامية والفارسية والقبطية ، وفي المغرب باللاتينية^{٢٨} ويعتقد " فيشر Fischer " في كتاباته أن " فقه اللغة " أصبح سيد العلوم منذ القرون الأولى من الحكم الإسلامي حيث صار الاهتمام كبيرا بالمعاجم اللغوية ونوادره ، وتمتع علماء وفقهاء اللغة باحترام بالغ في المجتمع ، كما تناول " فيشر " موضوعا هاما من موضوعات فقه اللغة وهو التأصيل للغة ، معتبرا جميع المؤلفات النحوية والمعجمية والمؤلفات الأخرى في فقه اللغة هي المصدر الوحيد لمعرفة العربية الفصحى . بحيث صارت هي الموضّح لغير المفهومات لما وصل منها ^{٢٩} . وفي مقالة أخرى تناول " فيشر Fischer " المؤلفات العربية القديمة التي أهتمت بعلم و فقه اللغة . فقد استعرض جهود القدامى بدءا من القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي - مبتدئا بمحاولات سيبويه (ت 177 هـ) في كتابه " الكتاب " الذي ضم أكثر من 574 فصلا عالج فيها الظواهر اللغوية للغة العربية ، و مرورا بالفراهيدي (ت 170 هـ) سواء كانت المعجمية أو محاولاته البدائية في موضوعات فقه اللغة والتي لا تختلف كثيرا في قلتها عن محاولات الأصمعي (ت 213 هـ) بعد أن جمع ثروة هائلة من الكلمات اللغوية و رتبها حسب الموضوعات ، استنرد في مقالته هذه دور علماء اللغة العربية في معرفة العلاقات اللغوية للنصوص المكتوبة مع العلامات المساعدة الإملائية والحركات التي طوروها ، وبين دورهم في علم الأصوات ودلالاتها التعبيرية كواحدة من أهم وسائل تنمية اللغة وانتشارها ، وإهتم " فيشر Fischer " ضمن هذه الدراسة باللغات العربية القديمة باعتبارها الميراث الثقافي المشترك للقبائل العربية الشمالية ، ومتطرقا لكتاب " المزهري في علوم اللغة وأنواعها " للسيوطي (ت 911هـ) ، ودورها في جمع جل موضوعات فقه اللغة للعلماء القدامى من القرن الثاني الى التاسع الهجري^{٣٠} . اشترك مع " فيشر Fischer " في هذا العمل الجبار أربعة عشر باحثا ألمانيا أفتتحها " كارل هيكر " (1876م - 1933 م) Karl Hecker بدراسة في اللغة العربية ضمن مقالة عنوانها " العربية في إطار اللغات السامية " ، في أربعة محاور هامة في العربية والسامية ، وتطور الأسرة اللغوية السامية ، والظهور المبكر للعرب ، و موقع العربية داخل اللغات ، وناقش الجذر التاريخي لهذا المصطلح ونسبه إلى " شلوتسر Shlizer " الذي إشتقه من لوحة الشعوب في سفر التكوين : ١٠ . ثم استعرض خصائص اللغة العربية في المحور الثاني وبين فيه موقع اللغة العربية داخل اللغات السامية . وتطرق بشكل تفصيلي للأصوات وتقسيماتها ، و وحداتها الصوتية والسمات الفارقة بين بقية اللغات السامية كالعبرية والآرامية والأكدية ، وعلاقة العربية الجنوبية بالشمالية^{٣١} . وبنفس الإتجاه كانت جهود المستشرق " فالتر ف مولر (1896 م - 1970م) Muller " ، حيث ضمّن مقالة

نشرت له في نفس الكتاب تحت عنوان " العربية الشمالية المبكرة " اشتملت على أربعة عناصر كلها في اللهجات القديمة وهي النمودية واللحيانية والصفوية والإحسانية.^{٣٢} بين " مولر Muller " بأن هنالك مادة نقشية اكتشفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي تنتمي للمنطقة العربية الشمالية ، وهي نقوش ثمودية ولحيانية وصفوية وحسانية ، ألفت من خلال أبجدية اشتقت من الخط العربي الجنوبي القديم^{٣٣} أما المبحث الثاني " لفالتر مولر Muller فقد عنوانه بـ " العربية القديمة في نقوش ما قبل الإسلام " وقد انصبت على لغة قبائل الأنباط والتي كانت تقطن في شمال الحجاز ويرجع وجودها إلى عام 312 قبل .أكد فالتر على وجود نصوص ونقوش كثيرة جدا لهذه القبائل تعود للقرن الأول الميلادي زينت بها القبور والآثار باللغة الآرامية وهي من اللغات العربية الشمالية، ونالت قبيلة " تدمر " نصيبها من دراسته التي وصلت إلى أقصى ازدهارها عام 273 ب م ، حيث توصلت دراسته أن لغة تدمر كانت الآرامية . وهي متفرعة عن الآرامية الوسطى . وترجع نقوشها إلى القرن الأول قبل الميلاد . وكانت النقوش التي عثر عليها تدور حول المجال الديني والاجتماعي والسياسي . إضافة إلى دلالتها على أسماء الأشخاص والتعويذات^{٣٤} . أما المستشرق الألماني " شتيفان فيلد (و 1937 م) Stefan Wild " ، فقد كانت له مساهمة فعالة في تأليف هذا الكتاب من خلال مقالته " لغة الكتابة العربية في الوقت الحاضر " وذلك من خلال طرحه عدة عناصر تتعلق بالعربية الفصحى (الكلاسيكية) والازدواجية في المنطقة اللغوية العربية ، ثم تطرق بشكل تفصيلي لخصائص العربية الفصحى الحديث . فالعصر الأول وهو علاقة الكتابة بالعربية الفصحى فقد بين أن سبب الارتباط القوي بينهما هو كونها -أي الكتابة- الوسيط الوحيد بين الوحي والمسلمين ، باعتبار أن القرآن الكريم الذي هو كتاب الله تعالى دونت معانيه النورانية وكلماته الربانية بالحروف العربية، مما أعطى هذه العلاقة قدسية خاصة لا يمكن بأي حال من الأحوال فكها والتخلي عنها . وبمرور الزمن طرأت تغييرات في منظومة اللغة عند الناس بشكل عام والمجتمع المسلم بشكل خاص مما جعل استخدام هذه اللغة ينحسر على الخطب والتبليغ الديني ، فيما تستعمل المجتمعات العربية والاسلامية لغة لا تتسجم مع لغة الوحي . فكثرت اللغات واللهجات بتكثر المجتمعات والدويلات ، وصار لكل قوم لغة خاصة بهم ، حتى انبعثت حركات تطالب من تكديد العهد باستعمال اللغة الكلاسيكية الأم مرة أخرى . وظهرت حركات أدبية وثقافية تطالب بذلك في القرن التاسع عشر الميلادي ، وبرزت معها صعوبات وموانع بذل المتصدون لها جهودا مضنية للتغلب عليها . واستفحلت الإزدواجية في المنطقة اللغوية بين اللغة الرسمية واللغة المستعملة ، إذ تمكن "شتيفان فيلد" من عرض هذه الإزدواجية وهذه المشكلات وطرق معالجتها بأسلوب شيق في مقالته هذه ، وتدرج في عرض المشكلة ومحاولات التغلب عليها ، وذكر مواطن الإخفاق وأسبابها . ونقاط النجاح ومستوياتها . ثم ترقى بعد ذلك لذكر خصائص اللغة العربية الفصحى الحديثة ، وهو من أهم موضوعات فقه اللغة قديما وحديثا . فتطرق للجوانب الصرفية والنحوية والدلالية للمفردات والتراكيب.^{٣٥} ومن المستشرقين الذين إهتم بدراسة اللغة العربية هو الألماني " يوشع بلاو Joshua Blau (١٩١٩ م) فقد شارك في تأليف كتاب دراسات في اللغة العربية بمقالة عنوانها " العربية المولدة المبكرة في نصوص العربية الوسطى .^{٣٦} " ويقصد بالعربية الوسطى ما نتجه اختلاط العربية المولدة مع العربية الفصحى (الكلاسيكية) . وقد أسهب في بيان المصطلحات الناتجة من استعمال اللغة الكلاسيكية الفصحى من خلال النصوص الخطابية ، أو استعمالها في المحاورات اليومية التي أسماها بالعربية الفرعية . وبين خصائص كل منها على مستوياتها النحوية والدلالية والصوتية . وأبرز عناصر كل واحدة منها . و تناول أيضا في مقالته هذه ما وصلنا من اللغة المولدة من نصوص في البرديات المبكرة ومصادر الحديث . أما المستشرق " هانز رودلف زنجر " Hans Rufdl فقد ساهم في مقالته الموسومة " المنطقة اللغوية العربية الحديثة" بالإشتراك مع زميله " هاينتس جروتسفلد " في تحديد مواقع اللغة العربية ولهجاتها المتنوعة . ومن خلال تتبعه لعدة مصادر ذيل بها هذه المقالة ذات العنصرين يتبين مدى الجهد الكبير الذي بذله من أجل الإحاطة الدقيقة بمنابع نشوء وانتشار هذه اللغة . افترض " هانز زنجر Hans Rufdl " أن مناطق الحواف البرية من الهلال الخصيب كان يقطنها قبل نشوء الإسلام وانتشاره بدو عرب . وجعل هذا الافتراض منطلقا للقول بأن الانتشار الحالي للغة العربية الحديثة مرتبط بأسلمة الدولة التي أوجدها العرب معتبره ارتباطا قويا . لكنه استدرك بأن اعتناق الإسلام لم يؤد إلى تعريب اللغة التي كانوا يتكلمونها على نحو الإطلاق ، وإنما كان يمثل جزءا من ذلك . غير أن هذا الهلال صار منطلقا لانتشارها وخاصة العربية الجنوبية . ومن ثم انتقلت إلى المناطق الشمالية . ويلاحظ أن الكثير من الكلمات المستعملة في المراسلات والعمل الإداري جاءت من اليونانية أو الفارسية بعد أن حققت شيئا معتدا به من التعريب . وكما هو واضح فإن فقه اللغة عند المستشرقين الألمان صب جل اهتمامه لدراسات اللغات السامية وخصائصها الصوتية والنحوية والدلالية . وكذلك دراسة محل وأماكن اللهجات القديمة . ودراسة تأثيرها وتأثيرها في بعضها البعض من جهة ، ومع اللغة العربية الحديثة . ولاینكر دراستهم للظواهر الحديثة للغة العربية لكنها تشكل مقدارا أقل . ويبدو السبب واضحا من خلال هذه المقالات كون اللغات السامية تعتبر منشأ ولادة اللغة العربية الفصحى (الكلاسيكية) . أما الجزء الثاني من كتاب " فولفديترش فيشر "

Fischer والذي أسماه " الأساس في فقه اللغة العربية " ، فنلاحظ أنه أحتوى على أربعة فصول ، تضمن الفصل الأول مقالتان ، الثانية للمستشرق " شتيفان فيلد Wild " ، وقد تكلمنا عنها عندما ذكرنا مقالته الأولى التي كتبها في الجزء الأول. ^{٣٧} وأما المقالة الأولى فهي للمستشرق "إنتوان شال Antoine Shall " وكانت بعنوان " الثروة اللغوية العربية " تحدث فيها عن بعض روافد إنماء اللغة العربية عبر قناة تعريب الدخيل للغات السامية ، معتبرا أن المفردات الناشئة عن ضرورات حياة البدو في مسميات الطبيعة وأصوات متعلقاتها وآثارها من أهم تلك الروافد بعد إجراء عملية التعريب عليها من الإشتقاق والتصريف . وبين أن علماء العربية المتأخرون عالجوا مهمة التعريب . ويمكننا أن نجد ذلك واضحا في مقدمة السيوطي ت 911 هـ 1505 م - ^{٣٨} أما الفصل الثاني من الكتاب فقد ضم ثلاث مقالات للمستشرقين " جرهارد اندرس Endress وفيرنر ديم Diem و أناماري شيمل Schimme " عن الخط العربي . تحدث الأول بمقالة تحت عنوان " الخط العربي " تطرق إلى أصله وتطوره ، وأصل الأبجدية العربية ونشأتها وتطورها في عصر ما قبل الإسلام . ثم تطرق للخط العربي في العصر الإسلامي المبكر ، وتطور علامات التنقيط . معتبرا وحدات صوتية جديدة للصوامت العربية ، مبيناً أنها أخذت شكلها النهائي في العصر الإسلامي المبكر . وذكر لها عدة شواهد من الخطوط العربية . وبها - أي بالتنقيط - اكتملت الحروف العربية لتصل إلى العدد ثمان وعشرين حرفا وفيما يخص الأرقام بين " أندرس Endress " كيفية استخدام الحروف بدل الأرقام في بدايتها . وأشار إلى بعض الوثائق التي تعود للقرن الثاني الهجري . وكيف أصبحت فيما بعد . مؤكدا أن الأرقام الحالية قد أدخلت مع النظام العشري عن طريق الفرس من الهند إلى الشرق الأدنى معتمدا على مقاله السرياني سبوخت Sebokht وله مقالة أخرى شارك فيها كتاب الجزء الثاني بعنوان " الكتاب في الثقافة الإسلامية " ضمن علم المخطوطات . تحدث فيها عن قيمة الكتاب والمكتبات في العصور الوسطى وافتتحها بديباجة رائعة جدا بين فيها أن الكتاب الحقيقي الذي لا بد من الإفتخار به هو ذلك الذي ضم كلام الوحي النازل على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله والمسمى " الكتاب " ، وكذلك الكتب التي دونت أحاديثه الشريفة صلى الله عليه وآله . وقد بين أيضا أن شرفية هذا الكتاب كانت دافعا ومفتاحا لأصحاب المكتبات للاهتمام ببقية الكتب وتدوينها ونشرها ، وخاصة ما يتعلق بهما من تفسير ودراسة وبحوث . ومن ثم الانطلاقة لبقية العلوم والمعارف الأخرى ، سواء أكانت المرتبطة بالأديان السماوية أو غيرها من الثقافات اليونانية والهيلينستية والثقافة البيزنطية والساسانية أما المستشرق " فيرنر ديم Diem " فقد تناول في مقاله تطور قواعد الإملاء والترقيم العربية ، وحدد مفهومها بأنها نظام القواعد الذي يجب أن تختار وفق علامات الخط في لغة محددة ، ويؤلف فيما بينها ليحول المنطوق اللغوي في علامات مرئية مكتوبة . وبين أن صيغ هذه القواعد قعدت بشكل دقيق في القرون الثلاثة الأولى الهجرية . ويمكن الإطلاع عليها بشكل واضح في الكتب الأدبية القديمة آنذاك . وأسهب كاتب المقالة في بيان الحركات وكيف تتحول إلى حروف من جنسها عند استطالتها الصوتية . وفرق بين الحروف الصامته والصائتة ، وعلامات التنكير والتأنيث ، والحركات الطويلة والقصيرة وكيفية التعبير عنها بالخط الكاشف عن الصوت . كما أعاد بعض ما ذكره زميله المستشرق " جرهارد أندرس Endess " من موضوعات الإملاء والترقيم و التنقيط وقواعد الإملاء والأرقام ^{٣٩} ونختتم هذا المطلب الخاص بجهود المستشرقين بالكاتب " يوليوس أسفالج Esfalj " الذي تناول موضوعا يخص عالم المخطوطات بمقالة بعنوان " المخطوطات العربية بخط سرياني " مشاركا زميله السابقين " جرهارد أندرس Endress و يوشع بلاو Blau " وقد أوضح أمرا هاما جدا مؤكدا أن اللغة العربية وبعد انتشار الإسلام صارت لغة الأدب والحياة اليومية لكثير من المسيحيين الشرقيين الذين عاشوا في محيط سلطان الإسلام - بحسب تعبيره - في أدنى آسيا في القرن السابع الميلادي . وإمتدت في القرن الذي تلاه لتصل إلى الأرثوذكس الشرقيين الذين خضعوا للمجمع الخلقيدوني عام 451 م . وبين الكاتب بأن الخط العربي الذي استعمله المسيحيون بمساعدة خطهم السرياني صار يطلق عليه فيما بعد بالخط الكرشوني نسبة لأول من كتب به " جرشون Jerashon " أو " كرشون Carshon " كما يرجح الكاتب . واستطرد التقلبات والتطورات في هذا الخط الذي صار الناس يستعملونه في كتاباتهم العربية أو المنقولة من العربية . فاتحا بذلك موضوعا جديدا من موضوعات فقه اللغة وهو الخطوط (الدخيلة) في كتابة العربية ، أشبه بتعريب الألفاظ والدخيل منها . وبين الكثير من النصوص التي وردت بهذا الخط وتواريخها ، والجات التي وجدت فيها . بل وبين أيضا بأن الكثير من النصوص تم العثور عليها مكتوبة بهذا الخط أصلها كان مكنوبا باللغات الأرمينية واليونانية والكردية واللاتينية ، بل وحتى من الفارسية والمغولية والملايامية والتركية والصغدية .^{٤٠} وبعد هذا العرض الكبير لجل العلماء المستشرقين الذين تناولوا البحث في موضوعات فقه اللغة نجد أن معظم هذه الجهود قد انصبت على دراسات اللغات السامية القديمة بشكلٍ واسع، استوفت جوانبها التاريخية والصوتية والتطورية ، وأماكن وجودها وتأثيرها ببعضها البعض . ودراسة المخطوطات ، والبرديات ، والخط وأنواعه ، وما يتصل بالقرآن الكريم من جهة رسمه وخطه ونسخه . كما درسوا علم الأصوات ، والمعرب والدخيل ، والنقوش القديمة وفك رموزها ، و موطن وجودها . وقد خلت هذه المداحق من نشوء اللغة ونظرياتها ، ومناهج دراستها وبيان حدود

وماهيات موضوعاتها ثم وجدنا من يهتم بهذا الجانب من غير المستشرقين الألمان وهو السويسري فردناند سوسير Saussure^{٤١} ، فقد إهتم هذا الباحث الخبير باللغة والكلام واللسان ونظريات نشوئها وعلاقة الألفاظ بالمعاني . وقد توصل إلى ذات النتيجة التي توصل إليها مشهور علماء العربية من أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة وضعية . لكنه استعمل لفظا آخر أكثر إثارة حينما وصف هذه العلاقة بالاعتباطية أو الجزافية . وقد استدل على ذلك بالحجة نفسها التي استدلت بها علماء العربية القدامى وهي أنه لو كانت دلالة اللفظ على معناه طبيعية لما اختلفت اللغات ولتحدث الناس لغة واحدة . ومعنى اعتباطية انه لا يوجد منطق يلزم ان توضع مثلا كلمة ما في العربية على ما سواها من الفاظ في الدلالة على ذاتها في لغة أخرى ، فيقول : ((لا توجد علاقة ذاتية جوهرية مثلا بين فكرة الأخت في الفرنسية والحروف المكونة لكلمة "سور" نفس الفكرة يمكن أن يمثل أو يرمز إليها بحروف أخرى))^{٤٢}. هذا ، ويرى سوسير Saussure ان فكرة اعتباطية العلامة اللغوية، هي من البداهة بحيث لا أحد يمكن أن يجادل فيها . ويدلل على هذه البديهية بحقيقة الاختلاف بين اللغات وبتغير دلالة الالفاظ في اللغة الواحدة من عهد إلى عهد . ولكن ما يؤخذ عليه وصف العلاقة بالعبطية ، لأن لفظة arbitrary تبدو نافرة في هذا السياق لأنها تتعارض مع فكرة كون أن اللغة نسق أو نظام، حسب تعريف سوسير نفسه . ولو انه استعمل كلمة عرضية incidental غير جوهرية (بالمعنى الفلسفي) أو عرفية conventional ، لكان أنسب ويمكننا أن نعتذر له بعذرين ؛ الأول : نحن لا ندري هل الكلمة الفرنسية المستعملة في النص الاصلي لها نفس وقع كلمة arbitrary الانجليزية لإحتمال أن تكون مؤداها مختلفا بسبب الترجمة المزروجة من الفرنسية إلى الإنكليزية ثم إلى العربية . وسبب هذا العذر هو أن سوسير نفسه يستدرك في سياق حديثه عن اعتباطية العلامة اللغوية موضحاً بأن اعتباطية العلامة لا يخول المتكلم الحق في اختيار أو تغيير العلامة جزافا كفيما اتفق ، وما دام الامر كذلك، فاننا نرى أن كلمة اعتباطية تكون قد فقدت معناها ويستلزم ذلك أن تستبدل ترجمتها بلفظة تتناسب مع رؤيته والعذر الثاني : أنه بين معنى الإعتباطية بتفسير غير الذي نعرفه ، فقد فسر ذلك بقوله : ((والرمز قد يكون (شجرة) ، فيكون الدال الصورة اللفظية (ش.ج.ر.ة) ، والمدلول سيكون شكل الشجرة بأغصانها وأوراقها . وإذا افترضنا أن كل حرف من كلمة شجرة يدل على شيء من الشجرة ، كأن يدل حرف ش (على الأغصان ، وحرف ج (على الجذع ، وحرف ر (على الثمار ، وحرف ة (على الجذور ، فعندها نقول بأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة طبيعية، ولكن الأمر ليس كذلك فالعلاقة اعتباطية ووضعية، بمعنى أن لفظ شجرة، تم وضعه والاتفاق عليه عرفيا))^{٤٣}. إن جهود المستشرقين لا يمكن إنكارها كما ونوعا ، فقد توسعت دراساتهم وأبحاثهم ، حتى صارت حافزا للكتاب العرب إذ اكتسبوا منهم المحفزات والدوافع ، ناهيك عن المناهج والمصطلحات والتنظير ، بل حتى العودة للتراث العربي الأصيل كان بدافع من المدارس اللغوية الغربية ، والمناهج والدراسات بكل حيثياتها كانت المحرك الرئيسي ، والباعث الحقيقي لاستنهاض الأقاليم وتنشيط الهمم نحو ذلك . وإذا كان المستشرقون الألمان قد أغنوا المكتبة العالمية بشكل عام والعربية بشكل خاص في مجال اللغة العربية وعلومها العامة والخاصة ، فإن الكثير من غيرهم ممن ظهرت عندهم الإبداعات اللغوية في شتى علوم اللغة . ولعلنا بنظرة واحدة لمصادر هذا البحث سنرى الكم المعبر من المؤلفات الأجنبية الغربية التي اعتمدنا عليها في تحقيقه ، وخاصة في مجال المناهج اللغوية والدراسات الصوتية وتعليل الظواهر اللغوية وغيرها الكثير من الموضوعات الهامة وكذا الحال مع الكاتب الكبير نعوم تشومسكي Chomsky صاحب المنهج التحويلي أو التوليدي الذي جاء من بعد يوسير Saussure والمنهج الوصفي ، فقد أبدع هذا الرجل في توفقه عن الاكتفاء بالمنهج السابق مما دعاه الأمر الى القول بحاجة اللغة الى منهج جديد يعيد الحيوية والنشاط للفكر الانساني ومشاعره وذهنه الباطني لتكون عاملاً حقيقية في دراسة اللغة ، فعمد الى القول بضرورة الرجوع للتراث اللغوي والاستفادة منه للتبشير بمنهجه الجديد الذي أسماه المنهج التوليدي والذي ستكون له المساحة الكافية من الحديث في محله المناسب أسوة بسوسير ومنهجه والى جانب تلك المؤلفات والكتب فإن مقالات تتجاوز المئات تم نشرها من قبل أصحابها في الصحف والمجلات المتخصصة بذلك سواء في أوروبا أو في أمريكا ، في مجالات اللغات السامية والمناهج اللغوية ، والدراسات التاريخية والمقارنة.^{٤٤} وإن بقي ما يمكن قوله في هذا المبحث فلا بد من ذكر بعض جهود العلماء الأراميين والسريان في مجال اللغة ؛ فقد كان لهؤلاء الأثر الكبير في تدعيم الثقافة العربية ، وكانت للغاتهم تأثيرا مباشرا باعتبار ان تلك اللغات كانت حلقة وصل بين اللغة العربية واللغة اليونانية بعد إن إطلع العلماء العرب المسلمون على الفلسفة الإغريقية بواسطة اللغات الأرامية ولهجاتها والتي تعتبر واحدة من اللغات السامية الغربية التي تشتمل على اللغات الفينيقية والرهاوية والفلسطينية والقبطية . (511) ومن أولئك الكتاب والعلماء ((ابن ديسان (ت 222 م) ، ويعقوب مزهاد (ت 345 م وأفرام السرياني (ت 397 م) وربولا الرهاوي (ت 430 م))^{٤٥} . ومن عجيب القول ما ذكره الأب " هنري لامنس (1862 م 1937 - م) " Henri Lammens من مدى تأثير اللغة الأرامية والسريانية في اللغة العربية إذ يقول فيهما ((فأصبحت اللغة السائدة في كل آسيا السامية ، أعني في سوريا ، وما بين النهرين ، وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب ، وكان المسلمون يدرسونها لكثرة

فوائده . وقد كتب بها الأرمن مدة قبل انتشار الأرمنية وحروفه وقد بلغ امتداد هذه اللغة إلى أقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي الأقطار الهندية جنوباً ، كما أنها بلغت جنادل النيل فلا تظن أن لغة أخرى حتى اليونانية جارت السريانية في اتساعها اللهم إلا الإنكليزية في عهدنا))^{٤٦}.

الذاتة

أولاً : الاستنتاجات

يتبين من هذا البحث الدور الكبير للمستشرقين وخاصة الألمان في دراسات وبحوث فقه وعلوم اللغة ، وهي دراسات امتدت لجيلين من علماء اللغة، تمكن الجيل الأول من التأسيس والتعديد على يد كارلمان ونولدكة وبرجستراسروكتيو باحثواً في علوم اللغة العربية بشكل عام ، ولكنها لم تفرق بين هذه العلوم وإنما تناولت اللغات السامية وتاريخها والمخطوطات ، فالجيل الأول اكتفى بالتعديد والتأسيس، فيما تمكن الكتاب والأعلام من الجيل الثاني على يد الكبير البروفيسور فولفديترش فيشر أستاذ الدراسات السامية الإسلامية بجامعة إرلانجن نورنبرج بألمانية الغربية آنذاك والذي شرع بمشروعه الكبير الذي عالج فيه جميع الإشكالات والأخطاء في بحوث الجيل الأول وتضمنت البحوث كذلك جميع البحوث التي بدأها القدامى العرب في مدوناتهم القديمة منذ القرن الرابع الهجري إلى ما آلت إليه هذه البحوث في العصر الحديث. وتبين للباحث برز المنهج الوصفي كأهم المناهج التي تعالج التحليل العلمي لموضوعات فقه اللغة ، وأنه شريان الحياة للنقد والتقييم اللغوي لكافة البحوث الحديثة ولا يمكن الاستغناء عنه ، فهو المحرك الحقيقي لمعرفة روابط الكلام ودراسة تراكيبه، والعلاقة بين كلماته وجمله ، والكشف عن ظواهر دلالاته ، وتحديد مفاهيمه .

ثانياً : التوصيات

عادةً وتماشياً مع أسلوب الباحثين ، يوصي الباحث هنا بما من الله عليه بعد الإنتهاء من كتابة بحثه بوصايا ، ولعل من المناسب أن تكون التوصيات بضرورة توجه الكتاب والباحثين في التعمق بدراسات المستشرقين ، وأن يتولى الباحثون برنامجاً يضمن بيان ما آلت إليه دراساتهم، وتوثيقها ، لغرض تدارك ما فاتهم ، وتنمية ما وصل إليهم ، وإعطاء أهمية لجانب المناهج في الدراسات اللاحقة والتي أصبحت في الوقت الحاضر أهم ما يميز البحث اللغوي المعاصر ، ولأنها متجددة بين الحين والآخر. ولابد من الاهتمام بالتأصيل لفقه اللغة من خلال قراءة واعية للمدونة العربية القديمة للوقوف على جهود الرواد العرب القدامى ، والتي وجدناها منبعاً حقيقياً إعتمدت عليها الدراسات الحديثة بشكل كبير .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المعاجم اللغوية :

١- ابن منظور . لسان العرب، دار احياء التراث العربي . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .

٢- أحمد بن فارس . مقاييس اللغة . تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار إحياء التراث ١٣٦٦ هـ .

٣- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط . دار إحياء التراث العربي . الطبعة الثانية . بيروت ، لبنان ١٤٢٤ هـ .

٤ - الأصفهاني ، أبو الحسن . المفردات في غريب القرآن . مطبعة هيثم طعيمة . دار إحياء التراث العربي . الطبعة الأولى . بيروت .

ثالثاً : الكتب :

١- بحيري ، سعيد حسن . الأساس في فقه اللغة العربية . أشرف على تحريره أ . د فولفديترش فيشر . مؤسسة المختار للنشر والتوزيع . القاهرة . الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

برجستراسر . التطور النحوي للغة العربية . أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب . القاهرة ١٩٨٢ م ٢-

٣- بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" ترجمة : محمود فهمي حجازي . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م .

٤- تشيم راين . اللهجات العربية القديمة في غرب جزيرة العرب . ترجمة د: عبد الكريم مجاهد . دار الفارس . الأردن . الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م .

٥- الثعالبي ، أبي منصور . فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم البياري وعبد الحفيظ شلبي . شركة المصطفى البابي الحلبي . مصر ١٩٧٤ م .

٦- ج.أ. جيسن ور . سافنيك . بعثة أثرية في بلاد العرب . باريس ١٩٠٩-١٩١٤ ، المجلد الأول ./١٧٢-١٧٦ . لوحة ٩ و ٢٥

حاتم الضامن الدكتور . علم اللغة . المكتبة الوطنية بغداد . ١٩٨٩ م . ٧-

- ٨- حاتم الضامن ، الدكتور . فقه اللغة . المكتبة الوطنية ، بغداد ١٩٩٠ م .
- ٩- رمضان عبد التواب ، الدكتور . المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي . مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- ١٠- دي سوسير . محاضرات في الألسنية العامة . ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر . لبنان ، دار نعمان للثقافة . طبعة الجزائر . المؤسسة الجزائرية للطباعة ١٩٨٦ م .
- ١١- رودى بارت . الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة د. مصطفى ماهر ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٢- مشتاق عباس معن . المعجم المفصل في فقه اللغة . دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان . ط ١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٣- يعقوب ، إميل بديع ، فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢ .
- ١٤- ابن فارس (ت ٣٩٠ هـ) . الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها تحقيق مصطفى شومي ، مؤسسة بدران ، بيروت ١٩٩٣ .
- السامرائي ، إبراهيم (الدكتور) ، فقه اللغة المقارن . دارالعلم للملايين ، بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .
- دار ابن خزيمة ، الرياض . الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م . فقه اللغة ، موضوعاته ، مفهومه ، قضاياها . محمد بن ابراهيم الحمد ١٥-
- ١٦- رمضان عبد التواب . فصول في فقه اللغة العربية . مكتبة الخانجي بالقاهرة . الطبعة السادسة . ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ١٧- محمد حسين الصغير المستشرقون والدراسات القرآنية . الناشر دار المؤرخ العربي . ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ١٨- بدوي ، عبد الرحمن (الدكتور) . موسوعة الفلسفة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط الأولى 1984 م
- ١٩- إسماعيل أحمد عميرة . المستشرقون والمناهج اللغوية . الحديثة . الزرقاء ، الأردن ١٩٩٢ م
- ٢٠- البهنساوي ، حسام (الدكتور) . الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
- ٢١- البهنساوي ، حسام (الدكتور) . أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

رابعاً : البحوث والمقالات والرسائل والأطاريح :

- ١- مستشرقون - المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية نسخة محفوظة ٠٩ يناير ٢٠١٨ على موقع واي باك مشين .
- ٢- مقالة المستشرق " فيرنر ديم " تطور قواعد الإملاء والترقيم العربية " في كتاب الأساس في فقه اللغة العربية . فولفديتريش فيشر .
- ٣- مقالة بعنوان " لغة الكتابة العربية في الوقت الحاضر " كتبها شتيفان فيلد ضمن كتاب دراسات في العربية
- ٤- مقالة بعنوان دراسات في العربية . كتبها فالتر ف مولر . ضمن كتاب الأساس في فقه اللغة العربية . فولفديتريش فيشر .

هوامش البحث

- ١ . لسان العرب : ابن منظور : باب الهاء ، فصل الفاء .
- ٢ . مقاييس اللغة . ابن فارس : 4/442 .
- ٣ . القاموس المحيط . الفيروز آبادي : 25٠ .
- ٤ . المفردات في غريب القرآن . الأصفهاني : ٤٠ .
- ٥ . فقه اللغة . حاتم الضامن : ٩ .
- ٦ . تاج العروس . الزبيدي : مادة لغا ، ولسان العرب . ابن منظور : مادة لغا .
- ٧ . علم اللغة . حاتم الضامن : ٣١ .
- ٨ . فقه اللغة . حاتم الضامن : ٩ .
- ٩ . نسب هذا التعريف محمد بن ابراهيم الحمد في هامش كتابه فقه اللغة ص ١٩ الى الدكتور حاتم الضامن علم اللغة ص ٣٢ . وعند مراجعتنا
- ١٠ . محاضرات في الألسنية . فرديناند دي سوسير . ترجمة يوسف غازي مجيد النصر : ١٥٠ ، ٨٩ على التوالي .
- ١١ . جامع الدروس العربية . مصطفى الغلاييني : ٩ .
- ١٢ . فقه اللغة العربية وخصائصها : د. أميل يعقوب : ٢٨ .
- ١٣ . ابن فارس . الصحابي : ج ٤٠ / ١ وما بعدها .

- ١٤ . فقه اللغة ، موضوعاته ، مفهومه . محمد بن ابراهيم الحمد : ١٩ .
- ١٥ . فصول في فقه العربية . رمضان عبد التواب : ٨ .
- ١٦ . ينظر : المستشرقون والدراسات القرآنية . محمد حسين الصغير : 11 .
- ١٧ . المصدر والصفحة .
- ١٨ . المستشرقون والدراسات القرآنية . الصغير : 18 .
- ١٩ . ينظر : الأساس في فقه اللغة . فولديتريش فيشر : تحرير . بحيري : 17 . صدرت الطبعة الأولى لمؤسسة المختار في 1422 هـ - 2002م . وعند مقارنتي بين الطبعتين لم أجد بينهما أي خلاف ولا زيادة أو نقصان أو تعديل حتى أن المقدمة في طبعتها الأولى و كذلك
- ٢٠ . موسوعة المستشرقين . د . عبد الرحمن بدوي : 98 .
- ٢١ . ينظر : الأساس في فقه اللغة . بحيري : 20 .
- ٢٢ . إسماعيل أحمد عمايرة . المستشرقون والمناهج اللغوية : 110 .
- ٢٣ . ولد " نولدكه " عام 1836 في هامبورغ . أتقن العربية، العبرية، والسريانية . درس في غوتغن وفينا وبرلين وليدن . حصل على الدكتوراه عام 1856م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن . عين مدرسا للتاريخ الإسلامي في جامعة غوتينغن عام 1861م .
- المصدر : النعيمي ، عبد الله محمد الأمين الاستشراق في السيرة النبوية - دراسة تاريخية لآراء (وات ، بروكلمان ، فلهاوزن)
- ٢٤ . بدوي، عبد الرحمن . موسوعة المستشرقين : 595 - 598 .
- ٢٥ . الأساس في فقه اللغة . فولديتريش فيشر . ترجمة بحيري : 20 .
- ٢٧ . المصدر : الأساس في فقه اللغة . فولديتريش : 18 .
- ٢٨ . سعيد حسن بحيري . دراسات في العربية : 11-17 .
- ٢٩ . المصدر : 13-17 .
- ٣٠ . وفديترش فيشر بعنوان . العربية القديمة في رواية إسلامية : 107 - 139 .
- ٣١ . ينظر : العربية في إطار اللغات السامية . كارل هيك . مقالة . ضمن كتاب الأساس في فقه اللغة . فولديتريش فيشر . 56 - 21 :
- ٣٢ . العنوان بالألمانية Das Altarabische und Klassische العربية ، وهي مقالة اشتملت على مبحثين ، شغلت الفصل الثاني في كتاب " دراسات في العربية " الذي حرره فيشر / 61 - 104 . حمل المبحث الأول عنوان " العربية الشمالية المبكرة . " أما المبحث الثاني فك .
- ٣٣ . ينظر : المصدر / 61-62 .
- ٣٤ . المبحث الثاني من مقالة فالتر ف مولر / 91 - 104 . دراسات في العربية . بحيري .
- ٣٥ . مقالة بعنوان " لغة الكتابة العربية في الوقت الحاضر " كتبها شتيفان فيلد ضمن كتاب دراسات في العربية / 141-157 .
- ٣٦ . هذا هو المبحث الثاني من الفصل الثالث من كتاب فيشر " الأساس في فقه اللغة العربية " في جزئه الأول المعنون " دراسات في العربية " الذي ترجمه بحيري . وهي مقالة للكاتب الألماني يوشع بلاو وعنوانها في اللغة الألمانية Das Neuarabischen Mittelarabischen
- ٣٧ . ينظر : ما جاء في هامش : ١٩٥ .
- ٣٨ . ينظر : المزهري . السيوطي : الباب التاسع عشر : معرفة العرب .
- ٣٩ . ينظر : مقالة المستشرق " فيرنر ديم " تطور قواعد الإملاء والترقيم العربية " في كتاب الأساس في فقه اللغة العربية . فولديتريش فيشر -
- ٤٠ . توجد هذه المخطوطات منها في متحف بيروت ، ومكتبة جمعية الألمانية للإستشراق ، والمتحف البريطاني ، وغير ذلك في لفافات ،
- ٤١ . ولد فرديناند دي سوسير في جنيف بسويسرا سنة 1857م من أسرة مشهورة بالعلم والأدب، وتوفي سنة 1913م . و
- ٤٢ . ينظر : ديسوسير . محاضرات في الألسنية العامة : 68 . علما أن هذا الكتاب لم يؤلفه سوسير بنفسه بل جُمع بعد وفاته من المحاضرات
- ٤٣ . المصدر نفسه .
- ٤٤ . ينظر : الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة . حسام البهنساوي : 63 .
- ٤٥ . ينظر : السامرائي ، إبراهيم . فقه اللغة المقارن : 247 .